عنترة الشاعر

أغراضه وأساليبه الشعرية

إن الباحث فى الشعر الجاهلى كثيراً ما يصطدم بألوان من التعقيد والإبهام فى أساليب هذا الشعر ، فيقف حائراً يقصر به المدى عن استجلاء المعانى وتدبر الألفاظ ، وليس ذلك لطبيعة اللفظ نفسه ، وقد كانت الألفاظ الصعبة من مشخصات الأسلوب الجاهلى ، وكان الخروج عنها ومغادرتها إلى مأنوس اللفظ ومفهوم التعبير - آنذاك - مما يدل على نقص فى عربية القائل ، ومقدرته فى قوة الصوغ ومتانة السبك .. لا ليس الأمر عائداً إلى هذا فحسب ، ولكن ما يعسر على القارئ فهمه ، وما يضنيه إمعان البحث وإطالة المشقة والتروى فيه ، هو ارتكام المعانى وتشابكها ومزجها فيما لا يلائم الأغراض الشعرية ، ولا يتساوق معها وما ينفر المسامع عن متابعة بعضها ، وحرص الشاعر الجاهلى على أن يسلك فى القصيدة ، وغالباً ما تكون ملحمة مطولة أشتاتاً من الأفكار المتفرقة التى لا رابطة بينها ولا انسجام .

فالتحرق للقيا الحبيبة - الوفية أو الخلية - والبكاء والاستبكاء على الأطلال الدائرة ، ووصف النوق والإبل ، والظباء والجياد ، والسلاح والحماسة البالغة للنسب والنفس والقبيلة والحكم المتراكمة مصوغاً ، كل ذلك فى قالب من التعبير يندر أن يتحرر من التداخل - تلك كانت أصولا وقواعد لازمة حتمية للقصيدة التى ينشئها الشاعر العربى القديم [1] ولا معابة فى ذلك ولا تثريب ، لو أن الشاعر أفرد لهذه الموضوعات والأغراض المتباينة قصائد مختلفة ومنوعة ، ولكن الذى يعجب له القارئ هو حرص الشعراء ولا سيما الفحول منهم ، على أن تستهدف القصيدة الواحدة المفردة من قصائدهم كل هذه الألوان ، لاسيما إذا كان المجال مجال مفاخرة شعرية أو مناظرة أدبية ، كما يحدث ذلك عادة فى ميادين الأدب وأسواقه عندهم ، وكما هو الملاحظ فى بعض المعلقات [2] .

على أن مدرسة الشعر الجاهلى وإن كانت تفرض تلك القيود ، فإن مما لا ريب فيه أن عنترة قد تحرر كثيراً من قيودها ، ولم يخلص لها كل الإخلاص ، إذ اتسم أكثر شعره بالرقة والوضوح ، مع بلاغة التعبير وجودة الأسلوب ، فلم يأخذ مأخذ الشعر الجاهلى الصميم فى

---

(١) شوقى ضيف / الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص ٥ ، ٦ م لجنة التأليف والترجمة والنشر .
وطه حسين / فى الأدب الجاهلى . ومحمد مهدى البصير / بعث الشعر الجاهلى م التفيض الأهلية ببغداد عام ١٩٣٩
نورى حمودى القيسى / الفروسية فى الشعر الجاهلى من ص ٢٧٥ - ٢٩٠ م دار التضامن ببغداد عام ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م .

(٢) حسن عبد الله القرشى / خطرات فى الشعر والنقد [تحت الطبع] ، عبد الحميد العلوجى / المواسم الأدبية عند العرب - راجع طبعة دار الجمهورية للطباعة والنشر ببغداد عام ١٩٦٥ .

ضخامة الألفاظ ، وخشونة المعانى ، ووعورة الوصف [١] إلا فى أفانين قليلة ، وإذا كان ذلك يؤثر له كمحمدة ومأثرة الآن ، فإنه ربما عرضه لموجدة بعض النقاد الأقدمين ومؤاخذتهم ، فهذا محمد بن سلام الجمحى صاحب طبقات الشعراء يعتده من شعراء الطبقة السادسة [٢] . ويشير الأستاذ الزيات فى كتابه « تاريخ الأدب العربى » [٣] إلى أن شعراء الجاهلية قد قسموا فى اعتبار الأقدمين بحسب إجادتهم إلى ثلاث طبقات : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة وهم رجال الطبقة الأولى ، والأعشى ، ولبيد ، وطرفه وهم رجال الطبقة الثانية ، وعنترة ، ودريد بن الصمة ، وأمية بن أبى الصلت وهم رجال الطبقة الثالثة . على أن هذا التقسيم لا يخلو من ضلال وتحكم ، لاختلاف الذوق وجهل بعض القدماء بقواعد النقد وأصوله [٤] ، ولأن فى شعراء الجاهلية من أعلام الشعر من لا يستهان بخطرهم أمثال : علقمة بن علاثة ، وعمرو بن كلثوم ، والمرقش الأكبر ، وسويد بن أبى كاهل اليشكرى ، وقد عد عنترة فى « الأعلام » من شعراء الطبقة الأولى من أهل نجد [٥] .

وقد عنى عنترة بكافة أغراض الشعر العربى وفنونه المعروفة فى زمانه ، كالفخر والحماسة ، والهجاء والرثاء ، والغزل والوصف ، والحنين والحكم ، وما إلى هذا من أفانين القول ، فكان فيها سباقاً رشيق التعبير ، بارع التصوير ، طريف المعانى .

على أن ملكة عنترة الشعرية لم تترعرع وتزدهر إلا حينما تخلص من ربقة العبودية وذل الرق ، حيث لم يرو عنه فى حال رقه من الشعر جيد أو رديء [٦] . ولكنه حينما نال حريته ، وملك أمر نفسه ، وشعر بمكانه وشخصيته ، جاشت نفسه بالشعر ، وتدفق به جزلا عبقرياً يفيض عذوبة ورقة ، ولا سيما حين عمر قلبه بحب ابنة عمه عبلة ، وجاش فؤاده هياماً بها وغراماً ، فقد أتى من ثمة بالمعجب المطرب العميق من سحر المعانى ودقتها وأناقتها .

وروى أن من الأسباب التى حفزت عنترة على قول الشعر ، أن رجلا من بنى عبس سابّه وشاتمه ، فذكر سواده وسواد أمه وإخوته ، وعيّره بذلك ، وبأنه لا يقول الشعر ، فقال له عنترة : « والله إن الناس ليترافدون بالطعمة فما حضرت مرفد الناس أنت ولا أبوك ولا جدك قط ، وإن الناس ليدعون فى الغارات فيعرفون بتسويمهم ، فما رأيناك فى خيل مغيرة فى أول الناس قط ، وإن اللبس (الاختلاط) ليكون بيننا فما حضرت أنت ولا أبوك ولا جدك خطة

---

(١) الأب لويس شيخو / شعراء النصرانية حـ ١ ص ٨٨٢ .

(٢) ابن سلام / طبقات فحول الشعراء ص ١٢٨ .

(٣) أحمد حسن الزيات / تاريخ الأدب العربى طبعة سادسة ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٤) أحمد حسن الزيات / تاريخ الأدب العربى طبعة سادسة ص ٣٨ .

(٥) الزركلى / الاعلام حـ ٢ ص ٧٤٤ .

(٦) أحمد حسن الزيات / تاريخ الأدب العربى ص ٤٨ .

فيصل ، وإنما أنت فقع نبت بقرقر [١] . وإنى لأحتضر البأس وأوفى المغنم ، وأعف عن المسألة ، وأجود بما ملكت يدى ، وأفصل الخطة الصمعاء ، وأما الشعر فستعلم » ، فكان أول ما قال قصيدة :

هـل غـادَر الشُّعـراء من مُتـردَّم . . . . . .

وهى أجود شعره وكانوا يسمونها المذهّبة [٢] .

وقد أورد صاحب الأغانى أيضاً هذه القصة مع تغاير فى التعبير عما ورد آنفاً [٣] .

ومعلقة عنترة هذه من خير قصائد الشعر الجاهلى ، وبرغم أنه بدأها كما يبدأ شعراء المعلقات قصائدهم بذكر الأطلال أو الفراق عدا عمرو بن كلثوم - إذ يقول عنترة :

هَـلْ غَادَر الشُّعـراءُ مِنْ مُتـردّمٍ أَمْ هَلْ عَرِفْتَ الدَّار بعد تَـوهُّم
أَعْيـاك رسْمُ الـدَّار لَم يـتَكـلَّم حـتّى تَكـلَّم كـالأَصَـمِّ الأَعْـجَـم
يـا دَار عَبْلَةَ بـالجِـواءِ تكلَّمِى وعِمِى صَباحَاً دَارَ عَبْلة واسْلَمى [٤]

برغم هذا ، فإن ما ورد فيها من المعانى الطريفة قمين بأن يضعها فى منزلة مميزة بالنسبة لسائر المعلقات المشهورة .

ويكفى أنه نظمها دفاعاً عن شاعريته ، وتأييداً لفصاحته ، وأنه قد قطع بها خصمه ونقض حكمه [٥] . وسنورد تحليلا مستقلا لهذه المعلقة فيما بعد [٦] .

وفى العمدة لابن رشيق حكى الأصمعى عن ابن أبى طرفة قال : كفاك من الشعراء أربعة : زهير إذا رغب ، والنابغة إذا رهب ، والأعشى إذا طرب ، وعنترة إذا كلب [٧] .

---

(١) فى المثل أذل من فقع بقرقر ، والفقع الرخو من الكمأة وهو أردؤها لأن الدواب تنجله بأرجلها . انظر « مجمع الأمثال » - ١ - ٢٤٩ ، و « اللسان » ١ - ١٢٦ .

(٢) ابن قتيبة / الشعر والشعراء جـ ١ ص ٢٠٥ و ٢٠٦ ، وكانت المعلقات تسمى أيضاً المذهبات . انظر « الخزانة » ١ - ٦١ وفيها إشارة لما فى المصدر السابق .

(٣) أبو الفرج الأصفهانى / الأغانى جـ ٩ ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٤) طه حسين وآخرون / التوجيه الأدبى ص ١٦١ ، محمود شكرى الألوسى / بلوغ الأرب جـ ٢ ص ١٩٣ ، والجواء : موضع شمال القصيم لا يزال معروفاً بهذا الاسم .

(٥) أحمد حسن الزيات / تاريخ الأدب العربى طبعة سادسة ص ٤٩ ، ابن عبد ربه / العقد الفريد جـ ٣ ص ٣٧٩ .

(٦) التبريزى / القصائد العشر ، حيث جعل التبريزى معلقة عنترة خامسة القصائد العشر .

(٧)ابن رشيق / العمدة تحقيق محيى الدين عبد الحميد جـ ١ ص ٧٨ .

وشعر عنترة ملىء بذكر الحرب ومسمياتها ، حتى قال فيه الأصمعى : « ذهب أمية بن أبى الصلت فى شعره بعامة ذكر الآخرة ، وعنترة بعامة ذكر الحرب » [١] .

ولا غرابة فى ذلك ، فإن عنترة صاحب حرب وقتال وطعن ونزال ، ولولا ما اشتهر عنه من ضروب الفروسية والبسالة لطمرت ذكره الأجيال ، ولغطى على بريق اسمه تقادم القرون والأزمان .

وعنترة فى غزله ورثائه واضح الأداء سهل التعبير ، وأما فى وصفه فوعر معقد إلا ما ندر ، ولقد وَفَى عنترة رسالته الشعرية لقومه ، نافح عن قبيلته عبس بشعره ، كما حامى عنها بحسامه ، ورفع من منزلتها بين العرب فى مضمار الفن حينما نفحها بمعلقته المشهورة التى جاءت درّة مجلوة بين المعلقات الأخرى ، كما حبَّب إلى الفضائل فى شعره واستكره الرذائل .

أما ميراثه للشعر عامة ، فذخيرة لها حسابها ، وثروة فنية لها رصيدها فى ميزانه كشاعر من شعراء الرعيل الأول ، أضاف إلى العربية صفحات من الشعر الخالد ، ولاشك أن من له ملكة عنترة الشعرية ، وفإنما هو شاعر مجيد مكثر ، ولو خلص إلينا جميع شعره على أصالته لكان لنا منه غُنْم أى غُنْم . على أنه بحسبنا الآن ما أفلت إلينا من أيدى الزمان ، وما وعاه الرواة ليقيم لعنترة فى ميدان الشعر عكاظاً ، وليسطر لاسمه فى سجل النابغين من شعراء الجاهلية مجداً باذخاً . وحسب ذاكرة التاريخ أنها حرصت على أن تقيم لهذا الشعر فى كل جيل مهرجاناً ، وأن تحفز الباحثين على دراسته ونقده ، وتشوقهم كل حين إلى الاحتفال به واستكناه طرائفه وذخائره ، وقد نقل هاملتن أشعار عنترة إلى الإنكليزية ، وطبعها بلندن فى مجلدين سنة ١٨٢٠ م ، ونقل ديفيك حماسياته إلى الفرنسية ، وطبعها بباريس ، ونجد لقصائد عنترة ترجمة بالألمانية ، طبعها منيل بيتافورم سنة ١٨١٦ م ، كما أن أشعاره مطبوعة فى ترجمات المعلقات الكبيره إلى اللاتينية والإنكليزية والألمانية [٢] .

ولا ريب فى أن شعر عنترة الحماسى كان من حيث فوته وجهارته كأناشيد الجيوش فى وقت الحرب – وقد ذكر ابن الأثير فى حوادث سنة ٧٧ : أن عتاب ابن ورقاء سار فى أصحابه قبيل المعركة يحرضهم على القتال ، ويقص عليهم ثم قال : أين القُصَّاص ؟ فلم يجبه أحد ، فقال : أين من يروى شعر عنترة ؟ فلم يجبه أحد [٣] .

---

(١) محمود شكرى الألوسى / بلوغ الأرب حـ ٢ ص ٢٥٣ .

(٢) غوستاف لوبون حضارة العرب ترجمة عادل زعيتر فى فهرس المصادر راجع ص ٧٥٠ – مطبعة عيسى الحلبى .

(٣) راجع ابن الأثير – وراجع « فى أصول الأدب » للزيات ص ٤٥ .

وفى أثر الشعر جاء فى كتاب « زهر الآداب » للحصرى : قال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى ، حدثنا يوسف ابن يعقوب ، قال أخبرنى جدى قراءة عليه عن أبى داود ، عن محمد بن عبيد الله ، عن أبى إسحاق ، عن البراء يرفعه إلى رسول الله ﷺ : قال : « ، إن من الشعر لحكماً ، وإن من البيان لسحرا » وراجعت فيه الشيخ فقال : إن من الشعر لحكماً بضم الحاء وتسكين الكاف ، ووجهه عندى أن من الشعر ما يلزم المقول فيه كلزوم الحكم للمحكوم عيه إصابة للمعنى وقصداً للصواب .

ديوان عنترة ومصادر شعره *

« عنترة » شاعر فحل يستحق شعره الكثير من دراسة الناقدين والباحثين ، وقد أصاب شعره الكثير من التصحيف والتحريف على أيدى النقلة والرواة والمتزيدين من أولئك وهؤلاء ، والمصادر المهمة التى يمكن أن يلجأ إليها باحث شعره :

أولا : ديوان عنترة بن معاوية بن شداد رواية الأصمعى ، مخطوط سنة ١١١٢ هـ (٧٧٢٧ أدب اللغة) بدار الكتب والوثائق القومية القاهرية .

ثانياً : ديوان عنترة بن معاوية بن شداد رواية الوزير أبى بكر عاصم بن أيوب البطليوسى بخط محمد محمود الشنقيطى .

ثالثاً : العقد الثمين فى دواوين الشعراء الجاهليين ، مطبوع فى أوربا سنة ١٨٦٩ م .

رابعاً : ديوان عنترة نشر الخورى ، الطبعة الثالثة . بيروت سنة ١٨٨٨ م .

خامساً : ديوان عنترة بتعليق رشيد عطية ، بيروت سنة ١٩٠١ م .

سادساً : ديوان عنترة بن معاوية بن شدّاد ، وعليه حاشية لمحمد العنانى ، مطبوع سنة ١٣٢٩ هـ .

سابعاً : ديوان عنترة برواية الأصمعى فى مخطوطة الشنتمرى شرح الدواوين الستة بدار الكتب والوثائق القومية القاهرية – نشرها مصطفى السقا بشرح مختصر فى مجموعة « مختار الشعر الجاهلى » ، مطبعة مصطفى الحلبى سنة ١٣٦٨ هـ ١٩٤٨ م .

ثامناً : شرح ديوان عنترة بن شدّاد لأمين سعيد ، مطبوع بالمطبعة العربية بالقاهرة بدون تأريخ .

تاسعاً : ديوان عنترة نشر دارى بيروت وصادرة مطبوع سنة ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م مع مقدمة لكرم البستانى .

---

* شوقى ضيف / تاريخ الأدب العربى – العصر الجاهلى ص ٣٦٩ -، ط دار المعارف عام ١٩٦٥ .

كارل بروكلمان / تاريخ الأدب العربى ص ٩٠ – ٩٢ ط دار المعارف عام ١٩٥٩ مصطفى السقا / مختار الشعر الجاهلى – شرح وتحقيق ط .الحلبى عام ١٣٦٨ هـ – ١٩٤٨ م

عمر فروخ / تأريخ الأدب العربى حـ ١ ص ٢١١ ، ٢١٢ ط دار العلم للملايين عام ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥ م .

عاشراً : شرح ديوان عنترة بن شدّاد بتحقيق عبد المنعم عبد الرؤوف شلبى مع مقدمة لإبراهيم الأبيارى ، مطبوع بشركة فن الطباعة بالقاهرة .. وهذا الديوان هو الذى اقتبسنا منه بعض الشعر المنسوب إلى عنترة وبعض ما ورد فى ثنايا الكتاب ولم يؤرخ تأريخ نشره .

وذكر « بروكلمان » أنه توجد فى يوهار رقم (٤٣٦) (١٤) قصيدة على روى اللام المكسورة فى معارضة الربيع بن زياد . نسبت إلى عنترة والمطلع على المطبوع من شعر عنترة يشعر أن كلّ ذلك لا يعد تحقيقاً دقيقاً لإنتاج عنترة الشعرى ، فما زال ديوانه ينتظر النشر العلمى الصحيح ، وما زال يرتقب المحقق الجاد الذى يكرّس جهده ويوفر وقته لإصدار الديوان فى صورة منهجية تتكافأ ومنزلته .

معلّقته وتحليلها*

لقد سبق الكلام عن أسباب إنشاء عنترة معلقته وذلك فى معرض الحديث عن « أغراضه وأساليبه الشعرية » وأنها جاءت على أثر ملاحاته لرجل من قومه اتهمه بالتقصير فى قول الشعر ، وإذن فقد نظم عنترة هذه المعلقة دفاعاً عن فته ، ودحضاً لحجة خصمه .

وسبب تسمية المعلقات ما ذكره ابن عبد ربه من أنها كانت القصائد السبع المتخيرة والمفضلة عند العرب ، فكتبوها بماء الذهب ، وعلقوها على أستار الكعبة ، ومثل ذلك ذكره ابن رشيق ، وصاحب خزانة الأدب ، وكانت هذه المعلقات تسمى أيضاً المذهبات [١] .

وقيل : إن سبب تسمية المعلقات أن العرب كانوا يتناشدون الأشعار والقصائد فى أسواق الشعر المعروفة ، فإذا استحسن الملك قصيدة قال : علقوا لنا هذه ، فتكتب وتعلق فى خزانته ، وربما كان الملك المقصود هو النعمان بن المنذر ، وربما كان أى ملك من الملوك الذين يعنون بالشعر .

إذن فعنترة شاعر فحل منذ قديم ، لا يمترى فى شعره ، ولا يشك فى لقانته وفصاحته بعد أن اعترفت العرب بآثاره وخلدتها كأحسن ما تخلد الآثار الرفيعة .

فالمعلقات هى خير أشعار العرب فى العصر الجاهلى ، وخلاصة منظومهم لما افتنوا فيها وأبدعوا من ضروب القول ومستحدثات المعانى ، ومن تلون أغراض الشعر وقوة الأسلوب ونضارته وجودة الوصف والتركيب . هذا مجمل القول فى المعلقات .

أما معلقة عنترة فقد شملت ألواناً وأفانين ، ففيها لوعة الفراق ، وذكرى الأطلال ، وفيها غزله بعبلة وهيامه بها ، ووصفه للناقة والاعتزاز بخلائقه وكرمه وخمرياته ، ثم ذكر غزواته وحروبه وفخره بقومه ، ومناوأة شاتميه وحساده ، فهى مستوعبة آماله وأمانيه ، مصورة حاضره وماضيه . ونبدأ الآن فى تحليل المعلقة .

يبدأ عنترة معلقته بأسلوب فيه نوع من التواضع الأدبى ، فهو يتساءل فى مطلعها تساؤل المستنكر :

---

* أبو الفرج الأصبهانى / الأغانى ج ٩ ص ٢٢ ، أبو محمد بن حزم / جمهرة أشعار العرب ، الأب لويس شيخو / شعراء النصرانية ، محمد بن سلام الجمحى / طبقات فحول الشعراء ، ديوان عنترة ، ابن عبد ربه / العقد الفريد ، التبريزى / شرح القصائد العشر ص ١٨٠ ، محمد بن القاسم الأنبارى / شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٢٩٣ وما بعدها .

(١) راجع عبد القادر البغدادى / خزانة الأدب ح ١ ص ٦١ ، ابن رشيق / العمدة تحقيق محيى الدين عبد الحميد ح ١ ص ٧٨ ط حجازى .

فيليب حتى / تاريخ العرب ترجمة محمد مبروك نافع ح ١ ص ١١١ .

هل غادر الشعراء من متردّم ؟

فكأنه يقول : ماذا أقول وهل ترك الشعراء قبلى مقالة لقائل ؟ إنهم قد ملأوا علينا شعاب الشعر حتى لانكاد نجد مسالكنا فيه ، ولا نتلمس سبلنا فى أوديته ورحابه ؟ ثم يمضى فى قصيدته :

هَـلْ غادَرَ الشُّعـراءُ من مُتـردَّمِ ... أمْ هَلْ عَرفْت الدَّار بَعْد توهم ؟
يـا دَارَ عَبلةَ بـالجـوَاءِ تَكلَّمى ... وعِمِى صَباحاً دار عَبلةَ واسْلَمى
فـوقفْتُ فِيهـا نـاقـتى وكـأنَّها ... فَـدَنٌ لأقضِىَ حَـاجـةَ المتلوّم (١)
وتَحـلُّ عَبلةُ بـالجـواءِ وأهْـلنَـا ... بـالحـزْن فـالصَّـمان فـالمُتَثلَّمِ (٢)
حُيِّيتَ مِن عهدٍ تَقـادَم عَهْـده ... أقـوى وأقْفَـر بَعْـد أمِّ الهيْثَم
حلَّتْ بأرْضِ الزَّائـرينَ فأصبَحت ... عسِراً عَلى طِلابِكِ ابْنـةَ مَخْرَم
عُلقتهـا عَرَضـاً وأقْتلُ قَـوْمهـا ؟ ... زَعـماً لَعمْـر أبيـكَ ليْسَ بمزْعَم
ولَقَـد نَـزلْتِ فَـلا تـظنى غَـيْره ... منِّى بمنْـزِلـةِ المحَب المكْـرَم (٣)

إنها هنَيهات ذكرى وقوف بالأطلال ، وتفرس فى ملامح الديار ، وتحية لها كأنها كائنات حية شاخصة ، واستنطاق واستحثاث على الكلام ، واستيحاء لما تذكيه فى نفسه من ضرام وتساؤل ضمنى فى النفس عن هذه التى علقها عرضاً أيعلقها ثم يقتل قومها ، كلا إنه لن يفعل ذلك ، إن إباءه وشممه يذودانه عن قومها . أجل فما هذا إلا « زعماً لعمر أبيك ليس بمزعم » فليس هذا بفعل مثله ، وليست تلك سجاياه . وثم :

كَيفَ المـزارُ وقَـد تَـربَّـع أهْلُهـا ... بعُنيـزتـيْنْ وأهْلُنـا بـالغَيْـلم (٤)
إنْ كُنتِ أزْمعْتِ الفـراقَ فـإنَّمـا ... زمَّتْ رِكـابكمـو بلَيـلٍ مُـظْلم
مَـا رَاعِنى إلّا حُمـولـة أهْلِهـا ... وَسْط الدِّيار تسفُّ حَبّ الخِمْخَم (٥)

---

(١) الفدن : القصر . المتلوم : المترقب . وقد أشار الأستاذ أحمد أمين إلى بدائية تشبيهات الجاهليين كتشبيه عمرو بن كلثوم فى معلقته أرجل امرأة جميلة بأعمدة من الرخام ، وصدرها بقطعة من العاج (راجع « ظهر الإسلام » ج ٢ ص ٢٣٥) وإن كنت أعتقد أن تشبيه عنترة وعمرو بن كلثوم لا يعتبر بدائياً ، بل إن فيه جدة بالنسبة لمستوى الحضارة فى عصر الجاهلية ، وهانحن أولا : نقرأ فى أشعار المعاصرين من يشبه نهدى المرأة بأنهما حُقا عاج على قطعة بلّور والفرق ليس كبيراً .

(٢) أمكنة عند العرب .

(٣) نزلت : حللت من نفسى منزلة المحب المكرم . وقد امتدح أبو العلاء المعرى فى رسالة الغفران ص ٣١٧ كلمة المحب بفتح الحاء ، وذكر أن بعض العلماء قال « لم يسمع بمحب إلا فى بيت عنترة » .

(٤) أمكنة عند العرب .

(٥) الحمولة : الإبل . تسف : تأكل . الخمخم : بقلة يقال إنها حب أسود إذا أكلته الغنم قلت ألبانها وتغيرت .

فِيهـا اثْنتانِ وَأرْبعـونَ حَلُوبـةً سُوداً كخَافِيةِ الغُراب الأسْحَم [١]

يالقلب عنترة ! لقد راعه الفراق وهو يرى الركائب والنجائب تزم ، والأحمال توضع على ظهور النوق والإبل ، والقوم سفر لايستجيبون له ولا يحفلون حبه وغرامه .

وتالله ما أقسى سفر الفراق على قلوب المحبين ! وما آلمه لعواطفهم ومشاعرهم ! فما لهم صبر على بلائه ولا طاقة لاحتماله !

ثم يمضى عنترة واصفاً محبوبته « عبلة » هذا الوصف الرقيق الشائق الذى يستهدف كثيراً من محاسنها :

دارٌ لآنسـة غَضِيض طَـرفُهـا طَـوْع العِنَاقِ لـذَيـذَة المتَبَسم
إذْ تَسْتبيكَ بذِى غُـروبٍ وَاضح عَـذْبٍ مقبّلُهُ لَـذيـذ المـطْعَم [٢]
وكـأنَّ فَـارةَ تـاجـر بقسِيمـةٍ سبقت عَوارضَهَا إلَيك مِنَ الفَم [٣]
أوْ رَوضَـةً أنُفًـا تضمَّن نَبْتهـا غَيثٌ قليـلُ الدِّمْنِ ليس بمعْلم [٤]
جَـادَت عَليـهِ كُـلُّ بِكْـرٍ حُـرَّةٍ فـتَرَكن كلَّ قَـرارةٍ كـالـدِّرهَم [٥]
سَحًّـا وتسْكـابـاً فَكـلَّ عَشيَّـةٍ يَجْرى عَليهـا المـاءُ لَمْ يَتصـرَّم

تلك الخود غضيضة الطرف عذبة المقبل والمبتسم ذات الثغر المعطر من هى ؟ إنها عند الشاعر روضة أُنف تنفحه بأريجها ، وتستبيه برونق ثمرها وزهرها ونبتها وعرارها .. روضة باكرها السحاب وجادها التسكاب !

ثم يبتكر عنترة فى الوصف فيأتى بهذه الصورة المعجبة وإبداعه فيها مما لم يسبق إليه :

وخَلا الذُّباب بِها فَليسَ ببـارحٍ غَـرِداً كفِعْل الشـارِب المـترنم [٦]
هَـزجـاً يحُـك ذِراعَـه بـذِراعِـه فِعْل المكبِّ عَلى الزِّناد الأجْذَم [٧]

---

(١) الحلوبة : الناقة .

(٢) غروب : حد ، وغروب الأسنان : حدها .

(٣) الفارة : وعاء المسك يشبه بها طيب رائحة الفم .

(٤) الدمن : المطر الخفيف . المعلم : ذو العلامة .

(٥) البكر : السحابة فى أول الربيع .

(٦) الذباب : النحل يقع على الأزهار .

(٧) الأجذم : الزناد القصير - ابن قتيبة الشعر والشعراء جـ ١ ص ٢٠٧ أسامه بن مرشد الكنانى / لباب الآداب ، ص ١٨٣ . وورد القلائد » جـ ١٢٤ م الحلبى تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم .

صورة شاخصة معبرة [١] .

ثم يتصور عبلة وقد لفها القمر بضوئه ، أو ناغمها الصبح بأغاريده منعمة مطيبة فى فراشها الوثير ، فى حين أنه مقتعد غارب فرسه حشيته السرج الناتئ ، ذائد عن قومه وعشيرته :

تُمْسى وتُصْبِح فَوْق ظَهْر حشيَّةٍ ... وأبيتُ فَوقَ سَراة أدْهم مُلْجَم [٢]
وحَشيَّتى سَرجٌ عَلى عَبْل الشَّوى ... نَهدٍ مَراكِلُهُ نَبيلُ المحْزَم [٣]

ثم يصف الناقة وكأنه يهدهدها ، مستحثاً إياها لكى تبلغ به دار محبوبته :

هَلْ تُبلغنِّى دَارها شَدنيَّةٌ ... لُعنَت بمجْرُوم الشَّراب مُصرَّم [٤]
خطَّارةٌ غِبَّ السُّرى زيَّافَةٌ ... تطسُ الإكامَ بذاتِ خُف ميثَم [٥]
وكأنَّما أقْصَى الإكَام عشيةً ... بقَريب بَيْنَ المنْسِمَيْنِ مُصَلَّم [٦]
تأْوى لَه قُلُص النَّعامِ كَما أوتْ ... حِزَقٌ يَمانيَةٌ لأعْجَم طَمْطم [٧]
يتْبَعن قُلَّة رأسِه وكأنَّه ... حرَجٌ عَلى نَعْش لَهنَّ مُخَيم [٨]
صَعلٌ يعودُ بذِى العشيرةِ بَيضهُ ... كالعَبد ذِى الفَرْو الطَّوِيل الأصلَم

ويستمر فى وصف الناقة ذاكراً مزاياها وسقياها :

شَربتْ بماءِ الدَّحْرضَيْنِ فأصْبَحتْ ... زَوراء تنفر عَن حِياض الدَّيْلَم [٩]
وكأنَّما ينْأى بجانِبِ دُفِّها !! ... وحْشىّ مِن هَزِج العَشى مُؤوَّم [١٠]
هرٌّ جَنيبٍ كلَّما عَطفت لَه ... غَضْبى اتَّقاها باليَدْينِ وبالْفَم

---

(١) شفيق جبرى بين البحر والصحراء العدد ٤٩ من سلسلة « اقرأ » ص ١٢ و ١٣ ففيه تحليل موفق لهذه الأبيات .
(٢) الحشية : الفراش المحشو .
(٣) الشوى : القوائم . المركل : حيث تبلغ رجل الراكب من بطن الجواد .
(٤) الشدنية : الناقة .
(٥) خطارة : تخطر بذنبها . تطس : من الوطيس ، مطرد الخيل ، الميثم : ومن وثم يثم إذا عدا وخف .
(٦) المصلم : مقطوع الأذنين .
(٧) الحزق : الجماعات الطمطم : الذى لا يفهم .
(٨) الحرج : سرير المريض أو البيت .
(٩) الدحرضان : اسم مود من مواد الماء (وفى تهذيب الصحاح نشر محمد سرور الصبان وتحقيق أحمد عبد الغفور عطار وعبد السلام هارون : ماءان – راجع ص ٤٣٣ ج ١) ، زواره : عوجاء مائلة من النشاط ، الديلم : الأعداء ، وقيل الجماعة ، وقيل الظلمة ، وقيل الداهية .
(١٠) الوحشى : الجانب الأيمن من البهائم ، المؤوم : عظيم الرأس .

أبقى لَها طُول السِّفار مُقرمداً سَنَداً ومِثل دَعائم المتَخيّم [١]
بَرَكت عَلَى ماءِ الرِّداعِ كأنّما بَرَكت عَلى قَصَبٍ أجَشّ مُهضَّم [٢]
وكأنَّ ربًّا أوْ كَحيلا مُعقداً حَش الوقُود بهِ جَوانب قُمْقُم [٣]
ينْباعُ مِنْ ذِفْرى غَضُوبٍ جَسرةٍ زَيافةٍ مِثل الفُنيقِ المكْدَم [٤]

معان شائقة لا يجب أن تروعك فيها وعورة اللفظ ، فالورد دائماً محفوف بالشوك !

وإذ ينتهى عنترة من وصف الناقة بعد أن أطال فيه وجوَّد ، ينثنى إلى أغراض أخرى تلامس واقع حياته ، وأسلوب معيشته من ألوان البطولة والفتوة ، ومجالس اللهو والشراب ، والتغزل بمحبوبته الساحرة فيقول مخاطباً إياها :

إنْ تَغْدفى دُونى القِنَاع فإننى طَبٌّ بأخْذِ الفَارسِ المسْتَلئمِ [٥]

ولا يكلف هذه المحبوبة المفتان أن تلفق فيه الوصف أو تتزيد فى القول ، فهو من أمجاده وخلاله فى موكب ليس عليه زيادة لمتزيد ، ويكفيها إذا شاءت أن تفخر بما تعلم من مواهبه وصفاته وعظم شخصيته وبطولته :

أثْنَى عَلىّ بما عَلِمْتِ فأنَّنى سَهْلٌ مُخالطتى إذاً لَم أظْلَم
فإذَا ظُلمت فإنَّ ظُلْمىَ باسلٌ مُرٌّ مَذاقتهُ كَطَعم العَلْقم [٦]
ولَقَد شَربتُ مَنَ المدَامَة بَعدَما رَكدَ الهَواجرُ بالمشُوف المعْلَم [٧]
بزُجاجةٍ صَفْراءَ ذَاتِ أسرَّة قُرنا بأزْهَر فى الشَمَال مُفدّم [٨]

ثم هو صاحب خمر يحبها ويشربها - كعادة أهل الجاهلية - ولكنه يقف عند الحد الذى

---

(١) المقرمد : المبنى بالآجر ، أى أن سنامها تماسك وتصلب كأنما بنى بالآجر ، المخيم : الذى يتخذ خيمة .
(٢) الرداع : مورد لبنى سعد . الأجش : الذى فيه خشونة . المهضم : المخرم وقيل المكسر .
(٣) الرب : ما تبقى من عصارة التمر . الكحيل : القطران .
(٤) ينباع : ينفعل ، وروى ينهم بمعنى يذوب . الزفران : العظمان الناتئان خلف الأذنين . الفنيق : الفحل .
(٥) تغدفى : ترخى قناعك على وجهك . طب : خبير . المستلئم : الذى لبس اللأمة .
(٦) باسل : كريه .
(٧)الهواجر : نصف النهار . المشوف : الدينار المجلو . المعلم : الذى فيه كتابة سعيد الأفغانى / أسواق العرب راجع ص ١٩٧ .
(٨) الأسرة : الخطوط . قرنت : شدت بكأس أخرى . أزهر : أبق ، من فضة . المفدم : الذى عليه القدام ، وهو خرقة يغطى بها ، وقيل القدام المصفى . .

لا يضيع حجاه ولا يفقده صوابه ، يستهلك ماله فى الشراب ، ولكنه يعز عرضه . فالشرف المذخور أثمن ما يحرص على صيانته ، أما المال فلا ضَيرَ من بذله لكريم مثله :

فـإذَا شَـربتُ فـإنَّنى مُسْتـهلكٌ مـالى وعـرضى وَافـرٌ لَم يُكْلَم
وإذَا صَحوتُ فَما أقصرُ عَن نَدى وكَـما عَلِمْتِ شَمائِـلى وتكـرُّمى [1]

كما أنه إذا جندل الفوارس ترك الفرائص مصفرة مرتعدة مما يلاقيه عدوه من شدّة ، وما يعانيه من مرارة :

وحَلِيـلِ غـانِيـةٍ تـركتُ مُجـدَّلا تَحْكُـو فَريصتـهُ كشِـدْق الأعْلَم [2]
سَبقَت يَـدايَ لـهُ بَمـارِن طَعْنـةٍ وَرشَـاشِ نافـذةٍ كَلَوْن العَنْدم [3]

ثم يهتف بعبلة صائحاً ، وكأنه يشعر بأنه قد فتر إصغاؤها له وتحمسها لقوله :

هلَّا سألْتِ الخيلَ يا ابْنةَ مَالـكٍ إنْ كُنتِ جَـاهلةً بمـا لَم تَعْلمى
إذْ لا أزالُ عَلى رحَالةِ سَابـحٍ نَهْد تـعَـاورهُ الكُـمـاةُ مُكلَّم [4]
طَـوْراً يجـرِّد لـلطِّعـانِ وتـارةً يأْوِى إلَى حَصد القسىِّ عرمْرَم [5]

فإنها لو سألت لعلمت ما لم تكن تعلم ، ولعرفت أنه يغشى المعارك غشيان الليث الغضنفر ، ولكنه يعف عن المغانم والمكاسب ، فهمّه أبعد من توافه الحياة :

---

(١) ابن قتيبة الشعر والشعراء راجع جـ ١ ص ١٤٨ وفى الخمر يقول الأعشى بيته المشهور :

وكـأس شـربـت عـلى لـذة وأخـرى تـداويـت مـنهـا بهـا

وقد نظر إليه أبو نواس فى قوله :

دع عنـك لـومى فـإن اللوم إغـراء وداوِنى بـالـتى كـانـت هـى الـداء

تقى الدين بن حجة الحموى ثمرات الأوراق ، على هامش كتاب « المستطرف فى كل فن مستظرف » ص ٤ ومن رقيق وصف الخمر قول ابن سكرة :

قـم هـاتهـا أصـفـى إذا رقـرقـت فى الـكـأس من دمـعـة مـهـجـور

أبو منصور الثعالبى / « يتيمة الدهر » راجع جـ ٣ ص ٥٩ .

(٢) تحكو : تصفر ، الفريصة : الموضع الذى يرعد من الدابة أو الإنسان هنيهة الخوف .

(٣) أبو عثمان الجاحظ « البيان والتبين » راجع جـ ١ ص ١٢٣ ، والأب لويس شيخو شعراء النصرانية جـ ١ ص٨١٢ . العندم : صبغ أحمر .

(٤) الرحالة : السرج الذى يحمل من جيود الشياه بأصوافها . السابح : الذى يدحو بيديه دحواً ، وهو كناية عن السرعة الشديدة . النهد : مرتفع الجنبين . تعاوره : تداوله . المكلم : المجروح .

(٥) الحصد : الكثير وقيل المحكم . القسى : جمع قوس . العرمرم : فى اللسان العرمرم الشديد ، وقيل الكثير .

يُخْبركِ مَنْ شَهِد الوَقيعةَ أنَّنى أغْشَى الوَغَى وأعفّ عِنْد المَغْنَم

ثم هو يتصيد من الرجال أشدهّم بأساً ، وأقواهم مراساً من تحاماه الفرسان وكره الأبطال نزاله :

وُمدَجَّجٍ كَرِهَ الكُماةُ نِزالَه لا مُمْعِنٍ هَرباً ولا مُستَسلم[1]
جَادَت يَدايَ لهُ بعاجِلِ طعنةٍ بمُثقّف صَدْقِ الكُعُوب مُقوّم[2]
برحيبَة الفَرْغيْن يَهْدى جَرْسُها بالليل مُعتسّ الذِّئاب الضُّرم[3]
فَشَكَكتُ بالرُّمْح الأصمِّ ثِيابهُ لَيسَ الكَريمُ علَى القَنا بمُحرَّم[4]
فتَركْتهُ جَزَر السِّباع يُنْشنه ما بَيْن قُلةِ رأسهِ والمِعْصَم[5]

ثم يستمر فى وصف طعانه للفرسان ، وسيطرته البارعة فى مواقف النزال والعراك :

ومِشْكّ سَابِغة هَتكتُ فُروجَها بالسَّيفِ عَنْ حَامى الحقِيقَة مُعْلَم[6]
رَبِذٍ يَداهُ بالقِداحِ إذَا شَتا هتَّاك غَاياتِ الشِّجارِ مُلوَّم[7]

وإن مبارزه ليفغر فاه دهشة وخوفًا وترقبًا لما سوف يناله من برازه . إنها نماذج بشرية يصوّرها عنترة أصدق تصوير :

لَّما رَآنِى قَدْ نَزلْت أُرِيدُهُ أبْدَى نَواجِذه لِغَير تبسُّم
فَطعنتهُ بالرُّمحِ ثمَّ علوتُه بمُهنَّدٍ صَافى الحَديدةِ مُخْذم[8]
عَهْدى بهِ مَدّ النَّهار كأنَّما خَضَبَ البَنان ورأْسُه بالعَظْلَم[9]

---

(١) لا ممعن هرباً : لا يفر فراراً .
(٢) المثقف : المقوم . الكعوب : عقد الرمح وكل ما بين أنبوبتين .
(٣) فرغ : ما بين كل من عرقوبين . المعتس : المتبقى ، اعتس الشئ : طلبه .
(٤) ليس الكريم : أى أن الكريم لا يموت فى فراشه ، وإنما يموت فى مواقع الحرب ، وثيابه كناية عن قلبه .
(٥) الجزرة : الشاة والناقة . ينشنه : يتغاولنه بالأكل . القلة : أعلى الشىء .
(٦) المشك : الدرع . فروجها : خروقها منافذها .
(٧) الربذ : السريع الضرب بالقداح الحاذق فى لعبها . إذا شتا : لأن الجدب أشد ما يصيب العرب فى الشتاء . الشجار ، هنا : الخمارون . الملوم : الذى يكثر لوامه على إنفاق ماله .
(٨) المخذم : من الخذم وهو القطع .
(٩) مد النهار : أوله . خضب : طلى . العظلم : شجر أحمر ، وقيل الوسمة ، والأول هو المراد .

بَطَل كأنَّ ثيابهُ فى سَرحَةٍ يُحْذى نِعال السِّبتِ لَيسَ بتوْأم[١]

وهذه صورة فنية لا يفوته أن يسجل إرّاقها وهو غارق فى حومة الوغى ، فهو يتذكر فى بريق الرماح عند اشتجارها ، ولمعان السيوف عند اشتباكها ثغر محبوبته العذب الشنيب ، فيود لو أهوى على السيوف مقبلا ، برغم أنها تنوشه وتدميه :

ولَقد ذَكَرتُكِ والرِّماحُ نَواهلٌ مِنِّى وبِيضُ الهِنْد تقْطُر مِنْ دَمى
فَوددْت تَقْبيلَ السُّيوف لأنَّها لَمَعت كَبارِق ثَغْرك المتَبسِّم[٢]

ويؤوب إلى التغزل فيقول :

يَا شَاةُ ما قَنصٌ لمنْ حَلَّت لهُ حَرُمت عَلى وَليتها لَم تَحْرم[٣]

ثم أرسل يتجسس :

فَبعثْتُ جَارِيتى فقُلت لَها اذْهَبى فَتجَسَّسى أخْبَارها لِى واعْلَمى
قالَتْ رأيْتُ مِنَ الأعادِى غِرةً والشَّاةُ ممْكنة لَمَنْ هُو مَرْتمى[٤]
وكأنَّما التَفتتْ بجِيدِ جَدايةٍ رَشَأ مَنْ الغِزْلَان حُرٌّ أرْثم[٥]

ويرسل حكمة متمثلة فى منكر نعمة له :

نُبْتُ عَمْرًا غَيْر شَاكِر نِعْمَتى والكُفْر مَخبثةٌ لنَفْس المنْعِم[٦]

ويتذكر وصاة عمه له ضحى ، فيكرّ غير مذمم ، ويفعل بالأعداء الأفاعيل ؛ إنه يتقى الضربات ، وينقضّ عليهم انقضاض الليث الهصور مهما تكاثروا عليه وتألب جمعهم ، فهو أمامهم شيطان مريد ، وبطل عنيد ، وقرم لا يباريه نديد :

---

(١) السرحة : شجرة لا ثمرة لها . نعال السبت : المدبوغة بالقرظ وهى مما كان يلبسه الملوك والأقيال . التوأم : الذى يولد معه آخر فيكون ضعيفاً ، والمعنى أن البطل عملاق كأنه شجرة فارغة أبو محمد بن مسلم « أدب الكاتب » راجع ص ٣٩٤ - ٣٩٥ م السعادة بمصر) .

(٢) بارق : بريق أسنانك .

(٣) الشاة : هنا المرأة ، وقيل النعجة .

(٤) الغرة . الغفلة . مرتمى : رامى السهام ، ومنه قولهم خرج يرتمى إذا خرج يرمى بالقنص .

(٥) الجداية : الظبية . الحرار : البيض . الأرثم : الذى فى شفته العليا بياض أو سواد .

(٦) المخبثة : الأمر الخبيث .

ولَقَد حَفِظْتُ وَصَاة عَمِّى بالضُّحَى إذْ تقْلِص الشَّفتان عَنْ وضَحِ الفَم[١]
فى حَومةِ المـوْتِ الَّتى لا تَشْتكِى غَمَـراتهـا الأبْـطال غَـيْر تَغَمْغم[٢]

وهو دائمًا قلب الهجوم ، وطليعته ، ومقدمة الفرسان ، يتقى به بأس العدو :

إذْ يتَّقُـون بى الأسِنَّـة لَمْ أخِم عَنْهـا ولكنِّى تَضَـايق مَقْـدمى[٣]
لَّـا سمَعْت نِداء مُـرةَ قَدْ عَـلا وابْنى رَبيعَـة فى الغُبـارِ الأقْتَم[٤]
ومحلَّم يسْعَـون تَحْت لِـوائِـهم والمـوتُ تَحْت لِـواء آلِ مُحلَّم[٥]
أيْقنتُ أنْ سَيكُـون عِنْد لِقـائهم ضَرْبٌ يَطيرُ عَنِ الفِراخ الجُثَّم[٦]
لَّـا رأيتُ القَـومَ أقْبـلَ جَمْعُهم يَتَـذَامرُون كَـرَرْت غَـيْر مُـذمَّم[٧]

كما أنه فى المعمعة موضع النداء وقطب الرحى :

يـدْعُـون عَنْـتَر والـرِّمـاحُ كـأنَّها أشْـطانُ بِئـرٍ فى لبَـانِ الأدْهَم[٨]

وإنه ليشعر بما كبد جواده من هوْل ومشقة ، ولكن ما من الجلاد بد ، برغم ما أصاب الجواد فى استماتة راكبه من عذاب وتعرض لشك الرماح وطعنها حتى لكأنه اغتسل بالدماء من إثخانه بالجراح :

مَـازِلتُ أرميـهُم بغـرَّةَ وَجْهِـه ولَبـانِـهِ حتَّى تَسـرَبـلَ بـالـدَّم[٩]
فـازْورَّ مِنْ وَقْـع القَنـا بلَبـانِـه وشَكـا إلىَّ بعَبـرةٍ وتَحْمُحُم[١٠]
لَوْ كانَ يَدْرى مَا المحاوَرةُ اشْتَكى ولَكَـان لَـو عَلِمَ الكـلَام مَكلِّمى
والخَيْـلُ تَقْتحمُ الغُبـارَ عَـوابسًـا مَنْ بَينِ شَيظَمةً وأجْرَد شَيْـظم[١١]

---

(١) تقلص : تجف .
(٢) التغمغم : صوت تسمعه ولا تفهمه .
(٣) لم أخم : لم أجبن .
(٤) الأقتم : الأسود .
(٥) محلم بن عوف الشيبانى الذى يضرب به المثل فى الوفاء والعزة يقال « لا حر بوادى عوف » .
(٦) المعنى أن الضرب يطير هام الفارس وما حوله ، والعرب تعبر عن الرأس بالفرخ والعصفور .
(٧) يتذامرون يحض بعضهم بعضاً على القتال .
(٨) الأشطان : حبال البئر . اللبان : الصدر .
(٩) ويروى بثغرة نحره .
(١٠) التحمحم : صوت مقطع دون الصهيل .
(١١) الشيظم والأجرد : قصير الشعر .

على أنه يصغى لهتاف الفوارس باسمه جذلا نشوان ، لأنه يعلم أنهم لا يدعون إلا ضيغمًا يعرف كيف يقودهم إلى النصر ، ويجنبهم معرة الهزيمة ومواطن الإخفاق والخيبة :

ولَقد شَفَى نَفْسى وأَبْرأ سُقْمها ... قِيلُ الفوارسُ وَيْكَ عَنْتر أَقْدِم[1]
ذُللٌ رِكابى حَيثُ شِئْت مُشايِعِى ... قَلْبى وأَحْفزه بأَمْرِ مُبرَم[2]

وهو لا يحذر الموت إلا أن يوافيه قبل أن يثأر من أعدائه ، وممن ينالونه بألسنتهم ، ومن هؤلاء الأعداء ابنا ضمضم المريّان ، ولكن من هما ابنا ضمضم هذان اللذان نذرا دمه ؟ يا لهما من مسكينين ! ألم يعلما أنه قد قتل أباهما ونكل به ، وأذاقه كأس المنون ، فأين كانا هما ؟ إن عليهما أن ينكرا أنه إذ قتل أباهما ، فكأنه أراق دمهما وإلى أن يلقاهما فإنه ليهيب بهما إلى النزال هاتفًا :

ولَقَد خَشِيتُ بأَنْ أَمُوتَ ولَم تَدُرْ ... لِلْحَرب دَائرةٌ عَلى ابنىْ ضَمْضَم[3]
الشَّاتِمى عِرْضى ولَمْ أَشْتِمْهُما ... والنَّاذرَيْنِ إذَا لَم الْقَهُمَا دَمى
إنْ يَفْعلا فَلَقد تَركتُ أباهُما ... جَزَر السِّباع وكُلِّ نَسْر قَشْعم[4]

وهكذا نأتى على ختام هذه المعلقة الفريدة بعد أن استمتعنا بروائع ما فيها من ديباجة مشرقة ، وأسلوب رائع خلاب ، ومعان شفافة مسلسلة ، وظلال من حماسة عنترة وشدته وبأسه .

وقد أفرد الدكتور طه حسين فى كتابه « حديث الأربعاء » « ساعة مع عنترة » تحدث فيها عن جوانب من معلقته هذه[5] .

---

(١) ويك : قال بعض النحويين معناها ويحك ! يعنى يرحمك الله .

(٢) الذلول من الإبل : سهلة القياد .

(٣) الدائرة : ما ينزل من البلوى ، وابنا ضمضم : هما هرم وحصين ابنا ضمضم المريان ، قتلها ورد بن حابس العبسى ، وكن عنترة قتل أباهما ضمضماً فكانا يتوعدانه ، وورد البيت فى الحماسة للبحترى » ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر » تراجع الحماسة للبحترى مطبعة مصطفى محمد بمصر ص (٥٥) .

(٤) القشعم : الكبير من النسور .

(٥) طه حسين / حديث الأربعاء ج ١ ص ١٤٥ إلى ص ١٥٣ .